**كلية الآداب واللغات**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**جامعة تلمسان**

**محاضرات في مقياس النثر العربي المعاصر– ماستر 1 السداسي الثاني –**

**تخصص أدب عربي 24-03-2020**

**د–حرة طيبي**

## المحاضرة الخامسة: النثر الديني" ابن القيم الجوزية أنموذجا"

النثر الديني ويشمل العلوم المتعلقة بالدين من الدراسات القرآنية، من التفسير والفقه وأصوله والعقائد وعلم الأديان المقارن والحديث والميراث، وهي متعلقة بالعقيدة والتشريع والعبادات ويحاول كتابها نقل أفكارهم وحججهم وتفاسيرهم بأسلوب رصين ولغة سليمة في الجمع بين الدراية اللغوية والدينية.

ابن قيم الجوزية:أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي(691هـ-751هـ _ 1292م-1350م)المشهور بابن قيم الجوزية أو ابن القيم، فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد وواحد من أبرز أئمة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

وصاحب المؤلفات العديدة عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة 16 عاما وتأثر به.

**مدارج السالكين:** قال **ابن القيم** رحمه الله في مدارج السالكين:" و أما النفاق: فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئا منه وهو لا يشعر به، فإنه أمر خفي على الناس وكثيرا ما يخفى على من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد"[1] وهو نوعان: أكبر وأصغر

[1]- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان–

كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين أفضل كتب ابن القيم، وحسبنا به في تهذيب النفوس والأخلاق، والتأدب بآداب المتقين الصادقين، مما يدل أوضح دلالة على أنه كان من أولئك المهتدين الصادقين، الذين طابت نفوسهم بتقوى الله، فجاء الكتاب ليسدّ الحاجة الماسّة إليه في عصر المادة يجمع به إلى هذا النشاط المادي عند الناس، صفاء الأرواح، وتقوى النفوس وتهذيب الأخلاق، حتى يجعل الله للعرب والمسلمين، فيما آتاهم من الأسباب المادية والغنى والثراء الحاضر والمنتظر في المستقبل، حياة عزيزة كريمة، آمنة في ظل الإسلام[2]. والإمام ابن القيّم في كتابه هذا ينبه إلى أن كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع، والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق وبتكميله لغيره في هذين الأمرين وبالتوصية بالحق والصبر عليه، وما الحق إلا الإيمان والعمل، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره واستخراج كنوزه وآثاره، فإنه الكفيل بمصالح العباد، في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد.

وذكر النفاق في القرآن الكريم كثيرا.

عالج ابن القيم من خلال مؤلفاته(الداء والدواء) قضايا النفس البشرية وأدوارها، ورسم سبل إصلاحها وتزكيتها، فبيّن معنى المعصية وأسبابها وآثارها على النفس والمجتمع، ومآلاتها في الدنيا والآخرة، ثم عرض لبيان الدواء الناجح لهذا الداء، مستلهماً توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية في إصلاح النفوس والمجتمع. وقد اتسمت معالجته لهذا الموضوع بالدقة والموضوعية البالغة، فكان العالم الاجتماعي والمربي الحريص الذي يعرف مكنونات النفس البشرية وطبائعها وميولاتها، ويحدد أسباب الداء الذي أصابها، ثم يشرع في وصف الدواء الملائم من خلال أحكام الشريعة وفضائها.

---

-عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، شرح مفصل لكتاب الداء والدواء، العدد 2.[2]

## المحاضرة السادسة: النثر الصوفي( الحارث المحاسبي أنموذجا)

ظهر النثر الصوفي في القرن الأول الهجري على شكل مواعظ وحكم، ارتقت في القرن الثاني الهجري إلى قصص تهتم بأخلاق المجتمع، غير أنها أخذت بعدها الفلسفي، وتنوعت أشكال التعبير فيها، أما في القرن الثالث الهجري انحاز المعنى إلى ترجمة أذواق المتصوفة في الحب الإلهي، أما القرن الرابع الهجري تأثروا بعلم الكلام وبالنظر الفلسفي، من هنا تغير المذهب وتجلى المتصوفة كثير من الغموض.

ظل الأدب الصّوفي(شعره ونثره) رافدا مُهمّا وركيزة أساسيّة، ارتكز عليها المتصوّفة، مكّنتهم من البوح والتّعبير عمّا يتأجّج في صدورهم من الفيوضات الإلهية، فجادت قرائحهم بشعر عذب سَلسٍ يحمل خَالص تجاربهم، ويُعبّر عن صافي مشاعرهم وأصدق عواطفهم تجاه الذات الإلهيّة[3].

كما كان للنثر الصوفي مكانته، فصار منذ العصر العباسي، مادّة للمعرفة الصوفية، فتنوّع عندهم النثر بين: الدّعاء و التهجّد و الوعظ و المناجاة، ليُبلّغ التّصوّف من خلال هذين الفنين(الشعر والنثر) رسالتين ،رسالة روحيّة تربط الخَلْق بالخالق وبِعَوالم ما ورائيّة صافية نقيّة، ورسالة جماليّة مُتمثّلة فيما تميّز به الخطاب الصّوفي من خصائص فنّية، لكن و مع ذلك يظل النثر الصوفي بعيدا عن دائرة الاهتمام حيث لم يأخذه كثير من الباحثين الكبار ضمن بحوثهم حول النثر الفني، من أمثال: زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري)، وشوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في النثر العربي) اللذان أحاطا بكل أنواع النثر وأشكاله، لكنهم أهملا النثر الصوفي، باستثناء نثر أبي حيان التوحيدي .

**الحارث المحاسبي**: ولد ببغداد سنة 170هـ وتوفي بها سنة 243هـ من أهل السنة من اهتماماته: علم الكلام، الصوفية، علم الحديث والفقه الإسلامي.

هو الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري، كنيته أبو عبد الله، سمي بالمحاسبي، لأنه كان يحاسب نفسه، و يعتبر أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، عاش المحاسبي غريبا وسط مغريات بيته، ومغريات عصره، لا تستهويه نزوة و لا تقهره شهرة وهو القائلّ عزلتي أنسي". تواترت الأخبار في أنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئا أي لأن أباه كان قدريا، فتركه ورعا. من مؤلفاته:

[3] – فائز طه عمر، النثر الصوفي، دراسة فنية تحليلية، دار الشؤون الثقافية العامة، 2008

وكتبه من الكثرة أن قدرت بمائتي مصنف حسب ما رواه السبكي في ( طبقات الشافعية 10) وشيخ الإسلام المناوي في الكواكب الدرية).

**من أقواله:**

- من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين.
- من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيَن الله ظاهره بالمجاهدة وإتباع السنة.

هكذا كان المحاسبي موسوعيا لا يتعلق على علم أو فن واحد، فكان حظه وافر من مختلف العلوم وكان ملتزما بكل ما يكتب، فلم يقل حرفا إلا التزم به سلوكا.

## المحاضرة السابعة: النثر الفلسفي( ابن رشد أنموذجا)

النثر هو الكلام الفني الجميل، المنثور بأسلوب جيد لا يحكمه النظم الإيقاعي –كما هو حال الشعر – تميزه اللغة المنتقاة والفكرة الجلية، والمنطق السليم المقنع، المؤثر في المتلقي.
من فنون النثر: القصة والمقالة والخطبة والمسرحية النثرية وفنون النثر الوصفي كالنقد الأدبي وتاريخ الأدب والأدب المقارن.
مارس الإنسان التفلسف منذ القدم، وذلك سعياً منه لفهم أبعاد وجوده بكافة مستوياته الأخلاقية والمعرفية والاجتماعية، وقد اتسمت الفلسفة التقليدية بمداها النسقي، أي أنها لم تترك مجالاً إلا وأخضعته لنمط سؤالها العام، فأفلاطون –على سبيل المثال– كان قد أدخل في كتاباته تصورات عن العالم الطبيعة والإنسان والمجتمع، فتحدث في كتابه الجمهورية عن الرياضيات والأخلاق والاجتماع والسياسة والفن والأدب، بحيث لم يترك مجالاً إلا وضمّنه في نسقه الفلسفي[4].
إلا أن الأدب احتفظ لنفسه بإيقاع ومنطق خاص به، استعصى على الاحتواء من قبل الفلسفة النسقية التقليدية، فالكتابة الأدبية باعتبارها شكلا خاصا من أشكال التعبير، سواءً كانت شعراً أو مسرحاً أو رواية، لها تراثها ورموزها وأشخاصها الذين صاغوا معالم الفكر الإنساني بجانب الفلاسفة.

[4] – نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية مركز دراسات الوحدة العربية، ص 99.

ولد محمد ابن رشد سنة 1126م بالأندلس، وتوفي في مراكش سنة 1198م، كانت له عدة اهتمامات منها: الفلك والفلسفة والرياضيات و الفيزياء. وهو الذي يرى أن لا تعارض بين الدين والفلسفة، ولكن هناك بالتأكيد طرقا أخرى يمكن من خلالها الوصول للنفس الحقيقية المنشودة واعتمد في آرائه الأخلاقية على مذهبي أرسطو وأفلاطون، وقد اتفق مع أفلاطون على أن الفضائل الأساسية أربعة و هي: (الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة) ولكن اختلف في كيفية استعمالهم. أكبر عدو للإسلام "جاهل يكفّر الناس" عبارة منسوبة لأحد أكبر فلاسفة وعلماء العالم الإسلامي ابن رشد، الذي ذاق أذى ومرارة تلك العبارة، بعد ملاحقته بالاتهّامات الباطلة بالتكفير في آخر سنوات عمره، مرغما على مغادرة مسقط رأسه قرطبة، وهو بكل قدره وعلمه.

ولابن رشد عدد كبير من المؤلفات والمقالات في الفقه والفلسفة، منها "تهافت التهافت" الذي كان رد ابن رشد على الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة"، و"جوامع سياسة أفلاطون"، "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"و "الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة" وغيرها من المؤلفات. فابن رشد يعد من أكثر فلاسفة الحضارة العربية الإسلامية والإنسانية على حد سواء، تمكنًا من وسائل التنوير العلمي والفكري، وأكثرهم استعمالا للبرهان العقلي وأكثرهم اطلاعًا على منجزات عصره وعصور الأوائل وأكثرهم استشرافًا للمستقبل.

وهو الذي دافع عن الفلسفة باعتبارها أم العلوم وصحح لعلماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي والكندي وغيرهم، في فهم نظريات أفلاطون وأرسطو، وأضاف إليها نوافذ معرفية جديدة وأبوابًا فكرية في فهم أسرار الفكر الإنساني المشترك والمتنوع، والذي استنبطه من آيات نورانية من القرآن الكريم تأسيسًا على قراءة توفق بين ما يقدمه العقل الإنساني من مفاهيم وتصورات، وبين ما يأتي من الوحي من عقائد وشرائع، تحمل في كينونتها الجوهرية والظاهرية،[5] ما يتعارض مع تفسيرات العقل وهو ما فتح الباب لمسألة التأويل، والتي بالرغم من خلفية ابن رشد العقائدية التي ينتمي إليها (الأشاعرة) وهي السواد الأعظم من المسلمين (أهل السنة) والذي يعتبر التأويل جزءًا أساسيًا في هذه المدرسة العقائدية، إلا أن ذلك لم يشفع له أن تعرض للقدح والهجوم من قبل فقهاء التزمت والمصالح والذين كانوا يخبرون العامة بأن الفلاسفة كفار وزنادقة وذلك لأسباب سياسية وفكرية ضيقة مستغلين جهل الناس بعلوم الفلسفة والمنطق.

---

[5] – ينظر عبد الحي كريط، مظلومية الفيلسوف ابن رشد، مقالات رأي عام.

ولقد رأى ابن رشد أنه لا بد من إعمال العقل في تقديم النص الديني باعتباره وسيلة لإقناع الناس خاصة وأننا نحتاج في هذا الوقت إلى منهج سديد في الرقي بمستوانا ، وطبعا يكون ذلك بمعايشة وفهم وتطبيق أدوات الإقناع الفكري والعلمي الرصين، وبمنحنى مفهومي في فهم الحياة.

## المحاضرة الثامنة: النثر الحديث( المقالة السياسية)

يعرف النثر على أنه تعبير عن المشاعر وما يدور في الذهن دون قيود فنية، وهو يمثل لغة التخاطب. في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان النثر ركيك الأسلوب يعتمد على المحسنات البديعية،مسيطرا عليه طريقة القاضي الفاضل على أساليب كتاب عصره و نهج نهجه، فبدت على أساليب هؤلاء مظاهر التكلف فأسرفوا في المحاكاة وأوغلوا في الصنعة، وتعمد تصيد الألفاظ والأساليب ذات البريق واللمعان[6].

في بدايات النثر الأدبي الحديث كانت القرائح حبيسة الأغراض الضيقة والمعاني التافهة، وقلّما كانت تتجاوز الرسائل الاخوانية، من تهنئة بمولود، أو تعزية بفقيد، أو معاتبة لصديق، وقلّما تعدى موضوع النثر هذه الحدود الضيقة ليلامس اهتمام الناس ويعالج شؤون المجتمع.

انطلق الفكر الحديث ناشطا و راح يرود آفاقا أرحب تتصل بالواقع وبالمجتمع، نتيجة انتشار أنوار النهضة في أرجاء المشرق العربي، وبدأت الأساليب تتحرر في بعض جوانبها من قيود التصنع اللفظي غير أن فئة من الناثرين ظلت على تعلقها بالعبارات المنمقة، وراحت تجد فيها نمطا أدبيا متميزا لا يحسن التفريط به. ومن هذا المنطلق ساغ للشيخ ناصيف اليازجي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فن المقامات، فدأب على إحيائه، وجهد في النسج على منواله، وفي الوقت نفسه كان ثمة ناثرون رواد ومؤلفون كبار أخذوا يراوحون بين النثر المقيد والنثر المرسل، ترفدهم في الحالين موهبة فذة، وفي مقدمة هؤلاء أحمد فارس الشدياق، أحد أركان النهضة الفكرية، ورائد الصحافة الأدبية[7].

ويمكن القول بأن اتصال الشرق العربي بالغرب ظل قاصرا في أول الأمر على النواحي العلمية والفنية التطبيقية. أما النواحي الأدبية فظل فيها الاتصال معدوما. وطبيعي ألا تنهض اللغة وتظل على عهودها السابقة جامدة راكدة مثقلة بالسجع والمحسنات البديعية.

---

[6] – طاهر عبد اللطيف عوض، المقال وفنونه عند الشييخ علي يوسف، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة 1986، ص46.

[7] – عمر الدقاق، مواكب الأدب العربي عبر العصور، طلاس دمشق، ط 1 1988 ص 250-251.

واشتد احتكاك الشرق العربي بالغرب في منتصف القرن التاسع عشر، و أرسلت طائفة من الشباب المصري إلى أوربا وعلى رأسها رفاعة الطهطاوي ، الذي تعلم في الأزهر وتخرج فيه، و رافق البعثة الكبرى الأولى لمحمد علي إماما لها. ولم يكتف بعمله، بل أقبل على تعلم اللغة الفرنسية، حتى أتقنها. وفي أثناء إقامته بباريس أخذ يصف الحياة الفرنسية من جميع نواحيها المادية والاجتماعية والسياسية في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". وعاد إلى مصر فاشتغل بالترجمة وعيّن مديرا لمدرسة الألسن، وأخذ يترجم مع تلاميذه آثارا مختلفة من اللغة الفرنسية. وكان ذلك بدء النهضة الأدبية المصرية، ولكنه كان بدعا مضطربا، فإن رفاعة وتلاميذه لم يتحرروا من السجع والبديع، بل ظلوا يكتبون بهما المعاني الأدبية الأوربية. ومن الغريب أنهم كانوا يقرءونها في لغة سهلة يسيرة، ثم ينقلونها إلى هذه اللغة الصعبة العسيرة المملوءة بضروب التكلف الشديد، فتصبح شيئا مبهما لا يكاد يفهم إلا بمشقة[8].

وهناك ظاهرة جديرة تتعلق بالأدب في تلك الحقبة، وهي الالتفات من بعض الكتاب إلى موضوع الوطن والوطنية، بالمفهوم الحديث تقريبا، فقد كان الوطن من قبل ذائبا في جملة العالم الإسلامي أو دولة الخلافة، وليس له دلالة خاصة، وبالتالي ليس هناك كتابات تدور حوله وتتغنى به. أما الآن ومع كتابات رفاعة الطهطاوي بصفة خاصة، وجدنا فكرة الوطن تتجدد وتبرز.

وهكذا نرى أن رفاعة الطهطاوي يعتبر واضع بذور التجديد في الأدب المصري الحديث. وكان لازدهار النثر الفني عوامل كثيرة من بينها: العناية بدراسة اللغة العربية وآدابها في الأزهر والمدارس والمعاهد والجامعات، وإحياء مصادر الأدب العربي القديم وطبع أحسن مؤلفات الأدباء المعاصرين وظهور المجلات الأدبية، وعناية الصحف اليومية بالأدب، وإنشاء دار الكتب المصرية، وكثرة ما ترجم من آداب الغرب إلى العربية، وتعدد الثورات الشعبية، التي احتاجت للخطابة، وقيام الصحف مما دعا إلى نهضة الكتابة[9].

تطور النثر بعد الحرب العالمية الأولى، وظهر الاتجاه الأدبي الذي يدعو أصحابه إلى الأسلوب الفصيح الرصين الجزل، وكانوا في إطار تجديد، لا يخرجون عن أصول العربية، ويقوم هذا الاتجاه على التحول والتطور في اللغة العربية على نحو ما تحولت وتطورت الآداب الأوربية، دون قطع صلتها بالقديم،ومن أصحابه في مصر،طه حسين، هيكل والعقاد كما ذكرنا.

---

[8]- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر،دار المعارف القاهرة ط7 ص171.

[9]- أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف ط6 القاهرة 1994 ص 41-42.

وقد ظهرت، في أواخر القرن التاسع عشر، أربع طوائف في النثر وهي: طائفة الأزهريين المحافظين وطائفة المجددين المعتدلين الذين يريدون أن يعبرو بالعربية دون استخدام سجع وبديع، وطائفة المفرطين في التجديد الذين يدعون إلى استخدام اللغة العامية، ثم طائفة الشاميين[10]، التي كانت في صف الطائفة الثانية، واشتدت المعارك بين الطائفة الأولى والطوائف الأخرى، حتى انتصرت طائفة المجددين المعتدلين، فعدل الكتاب إلى التعبير بعبارة عربية صحيحة لا تعتمد على زينة من سجع وبديع، بل يعتمد على المعاني ودقتها .

وكان محمد عبده على رأس طائفة المجددين المعتدلين، وهو الذي أخرج الكتابة الصحفية من دائرة السجع والبديع إلى دائرة الأسلوب الحر السليم. وكوّن لنفسه أسلوبا قويا جزلا، ومرّنه على تحمل المعاني السياسية والاجتماعية الجديدة والأفكار العالية، ومعنى ذلك أنه طور النثر العربي من حيث الشكل والموضوع. ثم جاء تلميذه لطفي المنفلوطي فقطع بهذا النثر شوطا كبيرا بكتبه ومقالاته فأنشأ أسلوبا نقيا خالصا ليس فيه شيء من العامية ولا من أساليب السجع الملتوية إلا ما يأتي عفواً ولم يقلد في ذلك كاتبا قديما مثل ابن المقفع والجاحظ بل حاول أن يكون له أسلوبه الخاص، فأصبح النثر متحررا من كل أشكال قيود السجع والبديع، وبذا يعد المنفلوطي رائد النثر الحديث. وكانت الشهرة التي حظي بها المنفلوطي[11]، تعزى إلى أسلوبه أكثر مما تعزى إلى مضمون مقالاته وهو أدرك الحاجة إلى تغيير أساليب اللغة العربية، وكثيرا ما عبّر عن اعتقاده بأنّ سرّ الأسلوب كامن في تصوير الكاتب تصويرا صادقا لما يدور في عقله من أفكار.

تعددت أنواع النثر العربي الحديث وكان أهمها:

المقالة الأدبية، الخطابة، القصة، الرواية، المسرحية، القصائد النثرية.

أما المقالة فهي قطعة إنشائية ذات طول معتدل تعالج موضوع ما معالجة سريعة من وجهة نظر صاحبها، وتحوي عدة أنواع منها: المقالة الأدبية و المقالة الاجتماعية و المقالة النقدية والمقالة العلمية والمقالة

[10] – ينظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف القاهرة ط12 ص 392.

[11] – هاملتون جيب، دراسات في الأدب العربي، المركز العربي للكتب دمشق، ص 55.

السياسية والتي تهتم بموضوع معين له حيثيات متعددة وتتكون عناصرها من: الخطة ( مقدمة–عرض–خاتمة) ونجد المادة والأسلوب، بحيث يجمع كاتب المقال مادته ويرتبها ويستدل عليها ليصل إلى نتيجة معينة، فمواضيعها سياسية محضة كمساندة الحكم أو الثورة عليه.

و أول من كتب المقالة السياسية كان " **باروخ سبينوزا**" سنة 1675 ونشرت سنة 1677 بعد وفاته، واستطاعت المقالة في معظمها أن تعتمد على التلقائية في التعبير، والبعد عن التكلف.

يقول في مقالته السياسية:( الواقع منظورا إليه ككلية عقلانية وجوهره مطلق تحركه منظومة قوانين يؤكد بواسطتها كل عنصر ذاته، ويجد ضماناته، وتعثر فيه على كل كينونة على يقينها المكتمل، وهنا يتم تطبيق القانون الطبيعي، الذي هو حق كل عنصر في الحفاظ على ذاته، على كل كائنات الطبيعة...)[12].

تكونت الرسالة السياسية عند سبينوزا من أحد عشر فصلا: مقدمة، القانون الطبيعي(مشيرا إلى المقالة اللاهوتية السياسية) حق السلطات العليا، وظيفة السلطات العليا، أفضل دولة أملاك، عن الملكية، عن الارستقراطية، عن الديمقراطية...

[12]– ابراهيم العريس، مقالات سياسية.